التراث الموريسكي المخطوط
مراجعة علمية نقدية

عرض
أ.د.خالد فهمي
كلية الآداب - جامعة المنوفية

لقد استقر في علم مناهج البحث أن المراجعات العلمية بحوث كاملة فهي تعد" بما تحتوي عليه من جهد تحليلي تركيبي أعمالا في حد ذاتها"[1] وهو الأمر الذي من شأنه أن يحمل الدارسين في المجالات والميادين المعرفية المختلفة على منح هذا الفرع من البحوث العناية اللائقة به؛ لأهميته الكبيرة في تطوير الدرس العلمي في كل ميدان، من طريق تقويم نتائجه، وفحص مقولاته، وتجديد مسارات البحث فيها.

وهذا بعض ما تحققه هذه البحوث، أو هو بعض ما يرجى تحققه من نحو بحوث المراجعات العلمية النقدية.

وتعالج هذه المراجعة العلمية النقدية لكتاب : التراث الموريسكي المخطوط؛ مجموعة من المسائل والمطالب كما يلي:

١. الكتاب: مادته، وانتماؤه المعرفي، وقيمته الحضارية.
٢. التراث الموريسكي المخطوط: المصادر والتوثيق.
٣. التراث الموريسكي المخطوط: مقالة في خطاب الوظائف والاستثمار.
٤. التراث الموريسكي المخطوط: ملاحظات نقدية واستدراكية.

وهذه المراجعة تطمح إلى فتح آفاقا جيدة لاستثمار هذا الكتاب، وتراكم الجهد في ميدانه، وتحقيق انفتاح موضوعاته على الحقول المعرفية المتنوعة إثراءً لها جميعا.

وفيما يلي معالجة مطالب هذه المراجعة العلمية النقدية على ترتيب ما ورد في هذا المفتتح.

١. كتاب (التراث الموريسكي المخطوط): مادته، وانتماؤه المعرفي، وقيمته الحضارية.

كتاب (التراث الموريسكي المخطوط) هو في الحقيقة مجموعة من البحوث المترجمة من الإسبانية، ترجمها وعلق عليها: محمد محمد عبد السميع، وصدّره الدكتور إسماعيل سراج الدين، وقدم له الدكتور مدحت عيسى، ونشره مركز المخطوطات، بمكتبة الإسكندرية، ٢٠١٥م.(في ٢١٤ص/١٥ ملحق صور).

وقد جاءت بحوث هذا الكتاب كما يلي:

(١/١) مادة الكتاب

- **أولا**: اللغة الأعجمية وآدابها: بديل إسلامي للإسبانية، لمارغوميث ريناد، جامعة بلد الوليد.
- **ثانيا**: ملامح دراسة النصوص الأعجمية، لرينولد كونتزي، جامعة توتبغن.
- **ثالثا**: المخطوطات الأعجمية كنصوص إسلامية، للويس برنابيه بونس، جامعة أليكانتيي.
- **رابعا**: المخطوطات الأعجمية – الموريسكية: اكتشافات، ومجموعات، وقوائم، وبيانات أخرى ، لخوان كارلوس بيابردي أميابا، جامعة أومبيدو.
- **خامسا**: مقاربة نحو تأريخ المخطوطات الأعجمية الموريسكية، لأنطونيو بيسبير تينو رودر يغيث، جامعة أوبنييدو.
- **سادسا**: الملامح الكوديكولوجية في المخطوطات العربية المتأخرة في شبه جزيرة إيبيريا، لنوميا مارتينيث دي كاستييا مونيوث، جامعة كوتبلوتنسي.

(٢/١) الانتماء المعرفي للكتاب، وآفاق استثماره المعاصر.

إن تحليل مادة هذا الكتاب، سواء كان هذا التحليل متوقفا عند تحليل خطاب عنوانات بحوثه أم كان متجاوزا إلى فحص المعلومات والآراء والمناقشات التي تشكل مادة كل بحث- يكشف عن حزمة متضافرة من الانتماءات المعرفية ، يمكن لهذا الكتاب المهم أن يقع في دوائرها، ويخدم اهتماماتها.

وفي هذه المقالة من هذه المراجعة العلمية النقدية للكتاب نحاول أن نستوفي هذه الخريطة للانتماءات المعرفية التي يدور في فلكها:

١/٢/١حقل الدراسات التراثية.

يعد حقل الدراسات التراثية حقلا ممتدا يحيط بكل ما يعني بفحص التراث بما هو الموروث القديم الذي وصل إلينا عن أسلافنا بشكل عام، سواء تعين في صورته الكتابية أو تجلياته المادية في صورة(المخطوطات)، كما يحدُّده علماء علم تحقيق النصوص التراثية أم اتسع لينضوي تحته مجموعة عناصر أوسع من المخطوطات، كما يحده علماء الحضارة والسياسية والقومية والهوية.

وهذا الكتاب ينتمي بصورة صلبة واضحة لكثير من ميادين هذا الحقل المعرفي ومجالاته. وهو ما نروم بيانه فيما يلي:

أولا: علم المخطوط/ الكوديكولوجي.

من تحليل مادة البحثين في (خامسا/ وسادسا) يتضح أن هذا الكتاب يخدم حقل علم الكوديويكولوجي أو (علم المخطوط)؛ ذلك أن هذه المادة تتضمن فحصا لعيون من مسائله من مثل:

أ. اعتماد محددات الوعاء المادي(مادة المخطوط) في تأريخ المخطوطات الأعجمية ، في(ص/١٥٨) يقول:" هناك ... مجموعة من المعلومات الخارجية مثل : الورق، الحبر، نوع الخط، اسم الناسخ...إلخ... يمكن أن تشير بشكل تقريبي لتأريخ هذه المخطوطات".

ب. رصد للملامح الكوديكولوجية في المخطوطات العربية المتأخرة في شبه جزيرة إيبيريا،(ص ص ٢٠٨-٢١٤) ، قد تضمن ذلك الرصد ما يلي:
- ملامح عرض اللوحة(الورقة).
- ملامح تسطير الصفحات.
- أنواع الكراسات.
- أنواع الوعاء(ورق، أو رق إلخ).
- وجود العلامات المائية من عدمه.
- أنماط ترتيب الأوراق، ودور التعقيبة في ذلك.
- البنية الداخلية لتجليد المخطوط، وأنواع التجليد، ومدى ظهور الحبك والفرز، وأنواع الكعوب، ومدى توافر العقد فيها من عدمه.

ت. إسهام الكتاب في استقرار الجهاز الاصطلاحي لعلم المخطوط (الكوديكولوجيا) ذلك أنه استعمل عددًا طيبًا من مصطلحات هذا العلم، وعملت الترجمة على منحها مكافئاتها العربية نوعا من الاستقرار والتوطين في بنية العلم في الثقافة واللغة العربية بين المعاصرين.

ث. الإسهام في تعميق بحوث خوارج النص، وخُرود المخطوطات، وأنماط تأريخها والتملكات وهي جميعا من بحوث الوعاء المادي المعروف اصطلاحا باسم المخطوط.

ج. وهذه الأربعة العناصر ظاهرة الدلالة على انتماء هذا العمل الفريد في الثقافة العربية المعاصرة إلى ميدان علم الكوديكولوجيا أو علم المخطوط.

ثانيا: علم تحقيق المخطوط النصوص التراثية (النشرات النقدية)

إذا كان علم الكوديكولوجيا (علم المخطوط) هو العلم الذي يدرس الوعاء المادي، وخصائصه، ومادة الكتابة عليه، وتسطيره، وتجليده، وفنونه إلخ- فإن علم تحقيق النصوص التراثية هو العلم الذي يعني بالنص الذي يحمله الوعاء أو المخطوط، وهذا الكتاب ينتمي بكثير مما أورده من معلومات إلى ميدان هذا العلم كما يتضح من تحليل المسائل العلمية التالية التي تتضمنها بعض فصوله:

أ. موضوعات النصوص التي حملتها مخطوطات الموريسكيين، ففي (ص/٢٢) يقول:" وجل الأدب الأعجمي الموريسكي تقريبا عبارة عن أعمال مترجمة، أو على الأقل تكييف[أو إعادة إنتاج] لأصول عربية مشرقية في معظمها".

وهذا النوع من المعلومات مفيد في تعيين مصادر مادة هذه النصوص عند تحقيقها أو نشرها نشرا نقديا ؛ فقد استقر في قواعد علم تحقيق النصوص التراثية ضرورة مراجعة مادة النص مشغلة التحقيق على مصادره التي اعتمدها عند التأليف أو التصنيف، لضبط كثير من عمليات هذا التحقيق بدءا من: تصبح قراءة النصوص الجزئية، إلى توثيق هذه النصوص، مرورا بضبطها، وتخريجها، والتعليق عليها بما يضيئ الطريق للقارئ عند استعمالها، ودراستها، واستثمارها في صناعة بعض الملاحق اللازمة.

ب. معالجة تقاليد التأليف وأنساقه من المسائل العلمية التي نجد لها صدى في بعض بحوث هذا الكتاب. وهي مسألة مهمة لإنجاز أعمال دراسة النصوص مشغلة التحقيق؛ ذلك أن دراسة النص التراثي، وبيان منهجه، وموقعه في حركة التأليف في ميدانه المعرفي هي من لوازم أعمال المكملات التي تندرج ضمن المفهوم الحديث لعلم تحقيق النصوص التراثية.

وهذه المسائل انشغلت بها دراسة ملامح دراسة النصوص الأعجمية في هذا الكتاب، وكشفت عن أهمية بالغة تتعلق بقراءة النص، وضبطه، واستكمال نواقصه عند تعرض المخطوطات لبعض المشكلات المادية، مما يعرف باسم (ص/٥١)" إعادة إنشاء النص الأصلي المكتوب" أو على حد تعبير الصديق الدكتور محمود مصري:" ترميم النص التراثي"!

ت. الإبداع المتعلق بأنساق التأليف في النصوص الموريسكية بما هي نصوص إسلامية بما يعني ظهور نمط من أنماط الاستقلال في الأشكال والموضوعات متمايزة عن الأشكال والموضوعات المشرقية، كما يتضح مثلا من دراسة: المخطوطات الأعجمية كنصوص إسلامية(ص ص ٦٤-٩١).

ث. إضافة عدد من مصطلحات علم تحقيق النصوص التراثية، واستقرارها، وهو ما يمكن معه الإسهام في: استقرار هذا الجهاز الاصطلاحي، وتطويره، ورصد الفروق الدلالية بين الاستعمالات المختلفة لبعض المصطلحات في تنزيلها على النصوص العربية، أو الأعجمية المخطوطة بالحرف العربي.

ثالثا: فهرسة المخطوطات (الببليوجرافيا).

تتضمن فصول هذا الكتاب عددا من المسائل العلمية المتعلقة بفهرسة المخطوطات الموريسكية، وقد جاء بحث: (المخطوطات الأعجمية- الموريسكية: اكتشافات ومجموعات، وقوائم وبيانات أخرى (ص ص :٩١-١٥٣) أطول بحوث الكتاب.

وقد تضمن عددًا من المسائل المنتمية لببليوجرافيا المخطوط الموريسكي، من مثل:

أ. وصف لمحتويات عدد من المكتبات الإسبانية من المخطوطات الأعجمية – الموريسكية المكتوبة بالحرف العربي، وهذه المكتبات هي:

- المكتبة الوطنية بإسبانيا(مدريد).
- الأكاديمية الملكية للتاريخ(مدريد).
- مكتبة " توماس زابار وتوماس"(مدريد).
- المكتبة الملكية = مكتبة جلالة الملك الخاصة = مكتبة القصر(مدريد).
- مكتبة الإسكوريال الملكي (مدريد).
- مكتبة " كاستيا لامانشا"(طليطلة).
- الأرشيف الأسقفي(كوينكا)
- ورثة السيد"إيسيدرو دي لاس كاخيغاس"
- اكتشاف" أوكانيا"(طليطلة)
- الأرشيف الكنسي لكاتدرائية " ديل بيلاء"(سرقسطة)
- المدارس الدينية(سرقسطة).
- مكتبة جامعة سرقسطة.
- أرشيف البروتوكولات القانوينة(سرقسطة).
- أرشيف محاكم"أراغون" (سرقسطة).
- الاكتشافات الحديثة والمجموعات الخاصة (أراغون).
- مكتبة كاتالونيا(برشلونة).
- مكتبة جامعة برشلونة.
- الأرشيف التاريخي لمدينة برشلونة.
- معهد الدراسات الليريدية (مدينة ليريدا).
- المكتبة العامة(مدينة ليريدا).
- اكتشاف بلدية(أسكو)، بإقليم" تاراغونا".
- المكتبة الوطنية الفرنسية (باريس).
- مكتبة ميجان(منطقة أكس أون بروفونس).
- المكتبة البريطانية(لندن).
- مكتبة جامعة كمبردج.
- جامعة (وادهام):(أكسفورد).
- مكتبة جامعة "أوبسالا"(السويد).
- مكتبة جامعة بولونيا(إيطاليا).
- مكتبة كازانيتنس(روما).
- المكتبة الرسولية بالفاتيكان(روما).
- المكتبة الوطنية المركزية(فلورينسيا).
- مكتبة برجر(برن).
- المكتبة الوطنية بمالطا.
- المكتبة الوطنية بالجزائر.
- مكتبة فيشر جامعة سيدني(أستراليا).
- الأرشيف الوطني العام (المكسيك).
- المكتبة الوطنية(قطر).

ب. القائمة الطويلة للمخطوطات الموريسكية المؤرخة ومصطلح "المخطوطات المؤرخة" أوسع دلالة من الدلالة المعروفة للمصطلح ، فالمصطلح في هذا الكتاب مستعمل ليدل على أمرين هما:

- المخطوط المؤرخ نصيا في حرده بعبارة اضحة كنوع الخط، أو الحبر، أو لغته القديمة، أو نمط تجليده، أو معلومات حول ناسخه، أو نوع ورقه، أو حجمه، إلخ.

وقد استطعت تحصيل هذا التصور من ملاحظة النهر الذي خصصه : أنطونيو بيسبيرتينو رودر يغيث في بحثه : مقاربة نحو تأريخ المخطوطات الأعجمية الموريسكية (صص ١٦٠-٢٠١)

وضمت (٢١٠) مخطوطة (لمعلومات حول التاريخ المحتمل للمخطوط)، وهو النهر الأخير في الجدول المصمم للقائمة.

ت. رءوس الموضوعات، وهو أحد المعايير الحاكمة في قراءة موضوعات النصوص، وتصنيفها بحسب المجالات والفنون، وهو ما نلحظه من النهر الخاص بموضوع النصوص في قائمة المخطوطات الأعجمية التي صنعها البحث المشار إليه في الفقرة (ب) هنا :(مقاربة نحو تاريخ المخطوطات الموريسكية).

رابعا: خريطة الأفكار السائدة بين الموريسكيين(الفيلولوجيا).

ينتمي هذا الكتاب – بحكم ما تضمنه من رصد بموضوعات النصوص التي احتفظت بها المخطوطات الموريسكية في عدد من بحوث هذا الكتاب – إلى مجال تاريخ الأفكار السائدة بين الموريسكين، وهو بعض المعنى المتداول لميدان الفيلولوجيا، بما هو علم يعنى بأفكار النصوص القديمة، وطبيعة العقول التي أنجزتها.

وتحليل رءوس الموضوعات التي وردت لنصوص المخطوطات في هذا الكتاب عن مدى المحنة والأزمة التي عاشا الموريسكي في إسبانيا أو خارجها، وهي المحنة التي شكلت ارتباطه بعدد من الموضوعات على وجه التعيين، ورأي فيها نوعا من تحقق الذات، ومثلت له نوعا من أشكال النجاة النفسية على الأقل.

وقد جاءت الموضوعات الأكثر انتشارا كما يلي:

أ. النصوص الدينية المتنوعة(ترجمات القرآن، والسنة، والفقه) .
ب. أدب الجدل، وأدب الدفاع عن الدين في مواجهة أصحاب الملل الأخرى.
ت. الأخلاق والمواعظ ، والأدعية.
ث. القصص الديني.
ج. خطابات ورسائل خاصة.

ومن ثم ذلك يتضح حجم التمركز حول الذات، وهو نمط من أنماط المواجهة في ظل العسف والقهر والاضطهاد الذي مارسته الحكومات المسيحية ضد المسلمين الذي أجبروا على تغيير دينهم!

٢/٢/١ . حقل الدراسات التاريخية والحضارية.

يصح أن نرى في هذا الكتاب عوامل تدرجه ضمن حقل الدراسات التاريخية بمعناها الواسع، التقليدي والجديد معا؛ ففي بحوثه مسائل مهمة جدا تنضوي تحت التاريخ، ومن ذلك:

أ. مسائل تتعلق بمدة حياة الموريسكي في شبه الجزيرة الإيبيرية، وخارجها، تعد تهجيره إلى المغرب والشمال إفريقيا.
ب. مسائل تتعلق بتاريخ العلاقات بين المشرق والمغرب، وبينهما وبين إسبانيا من خلال الموريسكيين، مما تعرضوا له من محن، واضطهادات، وما أحيوه ، واقتبسوه من آداب المشارقة، وفنونهم، وأنساق التأليف عندهم، وطرائق تجليد المخطوطات وغيرها من مسائل التاريخ الجديد.
ت. مسائل تاريخية مهمة تتعلق بأوضاع الموريسكين، وما كان يشكون منه، وأشكال الاضطهادات التي تعرضوا لها في الداخل الإسباني والخارج المغربي.
ث. مسائل تتعلق بالأبعاد التاريخية لنمو الأفكار والتصورات الخرافية في الكتابات الموريسكية بصورة كبيرة.
ج. مسائل تمنح تفسيرات تاريخية لنمو مجموعة من الكتابات والقصص التي تعلي من قيم الصبر، والتحمل، ومواجهة الابتلاءات، ومقاومة المحن!
ح. مسائل تضيئ تاريخ الحياة الاقتصادية للموريسكيين، من خلال تحليل حجوم الورق المستعملة في المخطوطات، وشيوع حجم الثمن في كثير من المخطوطات الموريسكية المحفوظة في مكتبات العالم المختلفة، وشيوع استعمال الورق، وغياب استعمال الرقوق دليل إضافي على تدهور الوضع الاقتصادي للموريسكيين كذلك؛ يقول(ص/٢١٠):" إن الأكثر شيوعا فيها(أي من المخطوطات) من قطع الثمن inoctaro وقطع الربعin quarto "
خ. مسائل تتعلق بتاريخ حفظ المخطوطات من النصارى الحكام، وتاريخ نقلها للمغرب عند التهجير.

د. مسائل تتعلق بتاريخ تجارة المخطوطات الموريسكية، ووصولها للمكتبات المختلفة في عدد من بلدان العالم.
ذ. مسائل تعين على دراسة تاريخ الأفكار المتداولة في التجمعات الموريسكية. صحيح أن هذه المسائل في مجملها تنتمي إلى ما يسمى في العصر الراهن باسم الكتابة التاريخية الجديدة التي تتمايز بصورة نسبية عن موضوعات الكتابة التاريخية التقليدية(الكلاسيكية)، لكن ذلك لا يعني التجاوز أو الشطط في تقدير قيمة هذا الكتاب وتقدير الرأي القاضي بانتمائه إلى حقل الدراسات التاريخية.

٣/٢/١.حقل الدراسات الاجتماعية والثقافية.

إن من أظهر الحقول المعرفية التي يمكن أن يخدمها هذا الكتاب بوصفه مصدرا من مصادر دراسة المجتمع الموريسكي هو حقل علم الاجتماع في غير اختصاص فرعي، ومن ثم فإن هذا الكتاب يمكن أن ينتمي إلى هذا الحقل المعرفي ومما يمكن استثماره ما ورد فيه من المعلومات ما يلي:

أ. خدمة بحوث طبيعة الحياة الاجتماعية التي فرضت على الموريسكيين بعد التغلب على حكم المسلمين في الأندلس، وخضوعها للحكم المسيحي الذي اضطهد المسلمين وعذبهم، وهجرّهم، وطرائق مواجهة هذه الضغوط، ومقاومة هذه الاضطهادات.
ب. خدمة بحوث التخفي بالعبادات والطقوس، وتوريث منظومة التقاليد الإسلامية من جيل إلى جيل آخر.
ت. خددمة بحوث الحياة الاقتصادية المتدهورة ، وانعكاساتها الاجتماعية على جوانب الحياة المختلفة في الطعام والشراب والزواج والتعليم والصناعات المختلفة.
ث. د.خدمة بحوث العلاقات المجتمعية بين الموريسكيين وغيرهم من طوائف المجتمع الإسباني بعد تغلب المسيحيين.
ج. خدمة بحوث الحياة الاجتماعية الخاصة، وانعكاساتها على الأحوال الشخصية وأنواع الملابس، والأطعمة، وتسميات المواليد، وأنماط الزيارات العائلية، وضوابط الاجتماع واللقيا، إلخ.

٤/٢/١ حقل الدراسات اللسانية.

في عدد من بحوث هذا الكتاب تظهر عناية كبيرة بعدد من المسائل العلمية التي تنمي إلى حقل الدراسات اللغوية / أو اللسانية، على مستويين هما:

أولا: المستوى الأصيل، وأقصد به انتماء الكتاب بوصفه مصدرا أصيلا لدراسة عدد من القضايا اللسانية الخاصة بلغة الموريسكيين، والتحولات التي أصابت أبنيتها الصرفية، والمعجمية، على وجه التعيين.

ثانيا: المستوى التابع، بمعنى انتماء الكتاب بوصفه مصدرا مساعدا في دراسة عدد من القضايا اللسانية الخاصة بلغة الموريسكيين تعين على دعم الدراسات التاريخية والاجتماعية والحضارية والثقافية.

ومما جاء في هذا الكتاب من المسائل التي يمكن استثمارها في تطوير البحوث اللسانية الموريسكية، من جانب، والتدليل على انتماء هذا الكتاب المعرفي إلى حقل اللسانيات من جانب آخر ما يلي:

أ. مسائل التحول الصوتي والدلالي لكثير من كلمات اللغة الإسبانية التي احتفظت بها معاجمها يقول(ص/١٩) :" إن الدراسة المعجمية للنصوص الأعجمية – الموريسكية مهمة أيضا، حيث يمكن أن تؤدي إلى توضيح وصقل معنى صوت قشتالي، وإلى فهم التطور الصوتي والدلالي، وكذلك بعض المشكلات الهجائية".

ب. خدمة الدراسات المعجمية في العربية، والإسبانية والرومانثية.
ت. خدمة الدراسات التقابلية اللسانية بين العربية ومجموعة لغات شبه الجزيرة الإيبيرية؛ ذلك أن الموريسكيين كانوا استعملوا عددًا من اللغات في إسبانيا هي: (ص٨٢٥):" اللغة العربية بحروف عربية / والرومانثية بحروف عربية(الأعجمية) / اللغة الرومانثية بحروف لاتينية/ اللغة العربية بحروف لاتينية.
ث. دعم دراسات تأثير الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي للموريسكيين على الوضع اللغوي لهم.
ج. خدمة دراسات الإيتمولولوجيا أو دراسات تأثيل الكلمات في الإسبانية، والرومانثية، والعربية المعاصرة مما جاء من أوروبا من طريق إسبانيا بطريق سياحة الألفاظ.
ح. دعم دراسات العلم اللغوي، وما لحقه من تحولات صوتية ودلالية .
خ. دعم دراسات الخطاطة، أو علم اللغة الكتابي، وما حدث للكتابة العربية عند كتابتها بحروف لاتينية، والعكس.

إن فحص مادة بحوث هذا الكتاب يكشف عن انتماء أصيل لحقل الدراسات اللسانية بصورة فائقة، ومن الممكن أن يمثل نقطة انطلاق حقيقية لتطوير الدراسات اللسانية التقابلية بين العربية والإسبانية، ودعم دراسات تاريخ اللغة العربية في عصور ضياع الأندلس اعتمادا على النصوص الأعجمية المكتوبة، أو اعتمادا على النصوص العربية المكتوبة بحروف غير عربية.

٥/٢/١. حقل الدراسات الأدبية.

إن كثيرا من بحوث هذا الكتاب تدرجه في مصادر دراسة الأدب العربي في مرحلة ما بعد سقوط الأندلس في إسبانيا والمغرب.

لقد ضم الكتاب عددا من المعلومات التي تجعله مصدرا مهما من مصادر التأريخ لأدب هذه المرحلة، ومصدرا مساعدا لدراسات نظرية الأدب فيما يتعلق بأنواع النصوص المتداولة وأجناسها الأدبية ومن ذلك:
أ. ما ورد من تصنيف الموضوعات في بحث الأعجمية كنصوص إسلامية، (ص ص ٧٣-٧٥) حيث أشار إلى الأجناس والأنواع الأدبية التالية:
- الخطب.
- أدب الزهد والأخلاق.
- قصص أخلاقي.
- قصص أفرسي (= أدب معراج).
- أدب رحلات.
- نصوص المناجاة والأدعية.
- أدب الجدل والدفاع عن الدين الإسلامي.
- أدب الرسائل.

ب. ما ورد من آراء حول انتشار هذه الأنواع من النصوص الأدبية والفنيةوعلاقتها بوضع الموريسكيين الاجتماعي والسياسي، والارتباط العاطفي بالدين في ظل أوضاع الضغط والقهر التي مورست ضدهم من قبل القوى المسيحية التي تغلبت على الحكومات الإسلامية في الجزيرة الإيبرية.

ت. دعم دراسات الأدب المقارن بين الأدب العربي(الموريسكي) والأدب العربي في المشرق، ودراسات الأدب المقارن بين الأدب الموريسكي والأسباني، وامتداد تأثيره في الأدب الإسبانية فيما بعد تهجير المسلمين من شبه الجزيرة الإيبرية.

إن هذه الحقول المعرفية، هي أظهر الانتماءات المعرفية التي يمكن القول باطمئنان معها أن كتاب : التراث الموريسكي المخطوط ينتمي إليها ، وبإمكان المشتغلين بها في الثقافة العربية المعاصرة أن يعتمدوه مصدرا أصيلا أو مصدرا مساعدا في تطوير بحوث هذه الميادين والمجالات والقضايا المختلفة المنضوية تحتها جميعا.

٣/١. قيمة كتاب التراث الموريسكي المخطوط.

إن تحليل كتاب التراث الموريسكي المخطوط بقصد تحصيل قيمته تقودنا إلى تعيين محددات قيمته كما يلي:

- **أولا:** يمثل هذا الكتاب وسيطا فريدا بما نقله من بحوث عن الإسبانية، لباحثين مرموقين مختصين بالبحث الموريسكي في جامعات أوروبا وأميركا اللاتينية.

ثم هو يمثل وسيطا مباشرا إذا إن بحوثه مترجمة عن اللغة الإسبانية التي تمثل أقرب المصادر اللسانية التي احتكت بالعالم الموريسكي.

وقضية الوسيط المعرفي هذه مهمة جدا في قياس قيمة هذا الكتاب وتقديرها في ظل عدم إنتاج معرفة عربية معاصرة في هذا الباب العلمي المتعلق بالمسلمين الذي فرض عليهم التنصير في بلادهم ثم فرض عليهم التهجير فيما بعد منها!

- **ثانيا:** إن بعض قيمة هذا الكتاب واردة من تنوع الاهتمامات التي يخدمها في داخل الحقل المعرفي الموسع المتعلق بالتراث الموريسكي، ففي بحوثه ما يخدم اللغة العربية وتأثيرها في غيرها، وفيه ما يخدم دراسة اللغة الأعجمية، وفيه ما يخدم الكوديكولوجيا، أو الخصائص المادية للأوعية، التي هي المخطوطات الموريسكية، وغير ذلك من الحقول المعرفية الفرعية التي سبق أن عالجنا طرفا منها في محور:انتماء الكتاب المعرفي).

- **ثالثا:** إن بعض قيمة الكتاب، كذلك ، ظاهر من تنوع الباحثين أصحاب البحوث التي يجمعها بين دفتيه، وتنوع الجامعات والأكاديميات في إسبانيا وغيرها من البلدان، وهو الأمر الذي يمنح القارئ شعورا حقيقيا بخطورة بحوث هذا المجال بسبب من تنبه كل هذه الأكاديميات إلى دراسة حقوله المعرفية الفرعية.

- **رابعا:** ومن مظهر تقدير قيمة هذا الكتاب أيضا التمدد الزمني لإنجاز بحوثه في لغتها الأصيلة، إذ تتوزع بحوث هذا الكتاب على نحو نصف قرن، وفيما يلي سنوات إنجاز كل واحد منها:
  - أ. البحث الثاني =١٩٧٠م(ملامح دراسة النصص الأعجمية).
  - ب. البحث الخامس=١٩٨٨م.(مقاربة نحو تأريخ المخطوطات الموريسكية).
  - ت. البحث الأول= ٢٠٠٠م.(اللغة الأعجميةوآدابها : نحو بديل إسلامي)
  - ث. د.البحث السادس=٢٠٠٩م.(الملامح الكوديكولوجية في المخطوطات العربية).
  - ج. هـ. البحث الثالث والرابع=٢٠١٠م.(المخطوطات الأعجمية لنصوص إسلامية/ والمخطوطات الأعجمية الموريسكية).

- **خامسا:** ومما يرقى بقيمة الكتاب ضمه لمجموعة من اللوحات والصور لنماذج من المخطوطات الموريسكية الأعجمية المكتوبة بالحروف العربية، وهي مادة مهمة- على قلتها – لدراسة عدد من القيم التي تمتع بها المخطوط الموريسكي، على مستوى الكتابة والخط، والألوان المستعملة، وتنسيق النصوص ولاسيما في المخطوطات المترجمة وجماليات مخطوطات المصاحف، إلخ من المسائل العلمية التي لا يمكن دراستها من غير متابعة فاحصة لعدد من النماذج المصورة.

٢. كتاب(التراث الموريسكي المخطوط) : مقالة في خطاب المصادر والتوثيق .

(١/٢) تمثل دراسة خطاب المصادر في بحوث المراجعات العلمية أهمية كبيرة؛ لاعتبارات متعددة تتعلق بتقدير قيمة الكتاب، مشغلة المراجعة من جانب، وتتعلق بقياس موقعه على خريطة بحوث المجال المعرفي الذي يخدمه ببحوثه التي يتضمنها من جانب آخر.

إن تحليل الاستشهادات المرجعية في هامش صفحات كل بحث تكشف عن كثير من الملاحظات المهمة في هذا السياق، يمكن رصدها فيما يلي:

- **أولا: التنوع اللغوى** الذي كتبت مصادر بحوث هذا الكتاب، فقد توزعت لغات مصادره كما تعكسها الهوامش على اللغات التالية:
  أ. الإسبانية، وهي اللغة المركزية التي احتلت المرتبة العليا في هذا السياق.(انظر: هـ/ص/١٨؛هـ٢/ص/٢٣؛هـ١/ص٤٨؛هـ٢/ص/٧٧/هـ٣/ص١٢٢؛هـ/ص١٥٣؛هـ/ص٢٠٩؛ وغير ذلك من المواضع الكثيرة.
  ب. اللغة الألمانية.(انظر:هـ١/ص٤٤؛هـ٣/ص٥٠؛هـ٤/ص٥٤؛هـ٤/ص٥٥؛هـ٣/ص٥٧) وغيرها من المواضع.
  ت. اللغة الإنجليزية.(انظر: هـ١/ص٣٧؛هـ٢/ص٥٧، هـ/ص٥٩) وغيرها من المواضع.
  ث. اللغة العربية، وقد اختصت المصادر التي جاءت بهذه اللغة لمعالجة أمر التعليقات المترجم بالأساس.(انظر: هـ٢/ص٨٥؛ هـ٣/ص١١٤) وغيرها من المواضع .

- **ثانيا: التنوع التصنيفي.**
وفحص هذه المصادر يقود إلى الكشف عن مجموعة أخرى من الملاحظات المتعلقة بمنزلتها العلمية، وأصنافها المرجعية، كما يلي:
  أ. مصادر أساسية تأسيسية في كثير من حقول الكتاب المعرفية الفرعية، فعلى مستوى مصادر المادة اللغوية نراه يعتمد كتاب وليم راتب في النحو العربي(انظر: هـ٢/ص٥٧) وغيرها، وكتاب كارل بروكلمان عن النحو العربي كذلك(هـ٣/ص٥٧) وغيرها وهما كتابان تأسيسيان لدراسة النحو العربي فيالقارة الأوروبية لاثنين من أئمة الاستشراق في إنجلترا وألمانيا على التوالي.
  ب. مصادر ذات وزن نسبي مرتفع بسبب-من نشرها في دوريات مختصة بفحص الشأن العلمي الموريسكي، وهذا النوع من المصادر والمراجع هو الغالب على هوامش هذا الكتاب مما يعكس متابعة جيدة من أصحاب البحوث المتضمنة فيه لإنجازات المجال في الدوريات المختلفة(انظر: هـ١/ص٧٦،هـ٢/ص/٧٧/هـ١/ص ٧٨ وغير ذلك من المواضع وفحص أنواع الدوريات يكشف عن توزعها على الجامعات، والمعاهد العلمية المختصة بدراسة الآداب والتاريخ والفنون الإسبانية، أو الآداب والتاريخ واللغة الموريسكية بصرة خاصة، أو المختصة بدراسة التراث الأندلسي، وهذه المعاهد، والمختبرات موزعة على كثير من بلدان العالم ، صحيح أن الكثير منها يقع في مدن إسبانيا، ولكن ذلك لا يعني غياب العواصم الأوربية والأميريكية اللاتينية، فثمة دوريات تصدر في لندن وغيرها.

- **ثالثا: التنوع في موضوعات المجال.**

من ناحية أخرى فإن تحليل مصادر هذا الكتاب من الناحية الموضوعية العلمية يكشف عن تنوع حقيقي في الحقول الفرعية المنضوية تحت الحقل المركزي الخاص بدراسة تراث الموريسكيين، وهي الحقول التي تظهر كما يلي:

- مصادر خاصة باللغة الأعجمية(هـ١/ص٤١)ز
- مصادر خاصة باللغة العربية، نحوا ومعجما(هـ٢،١/ص٥٧).
- مصادر خاصة بتاريخ الموريسكين(هـ٢/ص١٥٦).
- مصادر خاصة بالتوزيع الجغرافي للموريسكيين(هـ١/ص/٣٠).
- مصادر خاصة بمخطوطاتهم، وقوائمها، كتالوجاتها، أدلتها(هـ١/ص٢٢).
- مصادر خاصة بالآداب الموريسكية(هـ١/ص٣٧).
- مصادر خاصة بدراسة التأثير والتأثر بين العرب والموريسكيين(هـ٢/ص٣٢).

رابعا: التمدد الزمني للمصادر

وقد لوحظ أن مصادر بحوث هذا الكتاب متمددة زمنيا بصورة تبعث على تقدير عمق مادته ، فكثير من مصادره ترجع إلى نهايات القرن التاسع عشر الميلادي، ككتب وليم رايت وكارل بروكلمان، وأئمة البحث الموريسكي والأندلسي من العلماء الإسبان ، وهذا التمدد الزمني الطويل نسبيا للمصادر يمنح القارئ شعورا بعراقة العناية بدراسات التراث الموريسكي.

(٢/٢) أما ما يتعلق بطريقة التوثيق، والتعامل مع المصادر، ومعلومات الهوامش فقد جاءت على طريقتين كما يلي:

أولا: تعامل مؤلفي البحوث مع مصادر وبحوثهم.

ثانيا: تعامل المترجم مع مصادر تعليقاته على الترجمة.

(١/٢/٢) جاء تعامل أصحاب البحوث مع مصادرهم في عمليات التوثيق، في صورة مطردة، يمكن تلخيصها كما يلي:

- البدء باسم المؤلف.
- ثم عنوان الكتاب.
- ج.ثم بيانات أجزاء الكتاب.
- ثم مكان الطبعة؛ المدينة، المطبعة.
- هـ.ثم تاريخ الطبعة.
- و. ثم المؤشر المكانية، أو موضع النقل من المصدر(الصفحة) أو الجزء والصفحة.

ويمكن لمراجعة ذلك والتأكيد منه، مراجعة المواضع التالية:

(هـ٢/ص٥٧) وغيره من المواضع.

وهذا النمط من بناء الاستشهادات المرجعية يحقق عددا من الوظائف المهمة جدا، هي:

- أولا: تحقيق الموثوفية للقارئ في المعلومات والحقائق والأراء والمسائل العلمية.
- **ثانيا**: الإعانة على تحقيق الوظيفة المعرفية بتمكين القارئ المختص من الوصول إلى طائفة كبيرة من المراجع الأصيلة في المجالات المعرفية الفرعية كاملة البيانات عند إراداة ذلك.
- **ثالثا**: خدمة الوظيفة المعرفية كذلك بإتاحة الفرصة لدراسة مدى العناية بمجال دراسة التراث الموريسكي، وتنوع مصادره، وعراقتها.
- **رابعا**: الإعانة على تصنيف المصادر، وأنواعها، ودرجات الموثوقية فيها من خلال دراسة كثافة الاستشهادات المرجعية، وتكرارها في الهوامش.
- **خامسا**: الإعانة على تقدير منازل المؤلفين والدراسين في حقل الدراسات الموريسكية.
- **سادسا**: التمكين من معرفة الدرويات والمعاهد والمختبرات العلمية المعنية بدراسات التراث الموريسكي.

(٢/٢/٢) أما المعالجة المترجم لهوامش التعليق على ما يحتاج إلى تعليق من معلومات ابحوث وحقائقها، فقد تضمنت ما يلي:

أ. تعليقات إضاءات وتنوير تحيط بالمصطلحات والمختصرات من مثل تعريفه لمصطلح اللغة الرومانثية(ص/١٨)١٠هـ٢) بقوله:" هي مرحلة من مراحل تطور اللغة الإسبانية من اللاتينية إلى اللغة الإسبانية القروسطية(نسبة إلى القرون الوسطى"(المترجم).

ومن مثل تعليقه على مصطلح: فيدا بقول(ص٢/٢٩هـ٢) " الكتاب المقدس للهندوس"(المترجم)

وقد لوحظ على هذه التعليقات التنويرية ما يلي:

- **أولا**: توثيق نسبتها إلى المترجم، بوضع المؤشر اللغوي الدال على ذلك، في صورة كلمة المترجم بين قوسين هلاليين، وهو أمر محمود وعلمي .

- **ثانيا**: عدم توثيق هذه التعريفات من المراجع المختصة، وهو ما يفقدها قدرا من الموثوقية ، ويحرم قارئها من عدد من الوظائف الفرعية المرتبطة بالوظيفة المعرفية.

تعليقات إضاءة وتنوير تحيط بالكتب التي ترجمت إلى العربية مما يختص بمجال الدراسات الموريسكية ومن ذلك تعليقه على كتاب: دومينجيث أورتيث، وبرنارد فينسينت في(هـ١/ص/٢٤) قال : " قام بترجمة هذا الكتاب ...عبد العال صالح ، انظر: دومينجيث أورتيث، وبرنارد فينسينت، تاريخ الموريسكين؛ مأساة أقلية، ترجمة عبد العال صالح، مراجعة وتقديم جمال عبد الرحمن ، المشروع القومي للترجمة١٠٢٦(القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٧م) (المترجم) وقد اختلف الأمر هنا، فجاء تعليقات وافية بالمعلومات والبيانات، مما يمنح القارئ الموثوقية، ويعين على تحقيق الوظائف المنبثقة من الوظيفة المعرفية.

- **ثالثا**: تعليقات وإضاءات تحيط بأعلام العلماء والأماكن، من مثل تعليقه على ذكر ابن عربي(ص٣٥/٧ هـ٢) بقول:" هو ابن عربي (الشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن على بن محمد الطائي الحاتمي الرسي) المتوفي سنة ٦٣٨هـ (المترجم).

وما قيل عن ملاحظات التعليق على إضاءة المصطلحات واقع هنا كذلك.

- **رابعا**: تعليقات وإضاءات تحيط بمسائل علمية جزئية وردت في بحوث الكتاب، من مثل:
  - إضاءات تاريخية ، انظر: هـ/ص٣٢.
  - إضاءات مرجعية تتعلق بتوثيق مسألة من مصادرها القديمة، انظر هـ ١/ص٣٤.
  - إضاءات تتعلق بأنواع الأشعار، انظر: هـ ٢/ص٣٨، هـ/ص٣٩.
  - إضاءات تتعلق ببعض أنواع التراكيب والعبارات انظر، هـ٢/ص٤١.
  - إضاءات تتعلق بتخريج بعض النصوص العربية، والإشارات إليها ولاسيما الأحاديث والأمثال (انظر /هـ١/ص٥٧).
  - إضاءات تتعلق بتفسير بعض ما يراه غامضا من نصوص فنون البحوث انظر : هـ١/ص٧٤.
  - إضاءات تصحيحية لبعض معلومات فنون البحوث، انظر: هـ١/ص٨٠ ، هـ/ص٨٣.

ومما يلاحظ على هذه التعليقات:

أولا: غياب المراجع التوثيقية، مما ينال من درجة الموثوقية فيما لدى مستعمل الكتاب من العرب.

ثانيا: ظهور نوع من الدقة المحمودة ، في استعمالات عبارة الإقصاء أو عدم الحسم تقديرالمتن البحوث، وهو ما يظهر عند تقديم تفاسير لبعض عبارات البحوث ، بقصد شرحها وبيان المقصود منها ومن ذلك مثلا قوله(هـ١/ص ٧٤) بذكر المتن:" نقد داخلي" فيعلق لعل صاحب المقال يقصد منه" الجرح والتعديل".(المترجم) وبعيدا عن الرأي في هذا التفسير غير الدقيق، فإن افتتاح التعليق بكلمة " لعل" أمر جيد من المترجم الكريم!

٣. كتاب (التراث الموريسكي المخطوط): مقالة في الوظائف وآفاق الاستثمار.

إن تحليل مادة بحوث هذا الكتاب تفتح الباب أمام توظيفه المعاصر في عدد من المسارات يمكن إجمالها، فيما يلي:

١. أولا: الوظيفة المعرفية، في تطوير بحوث دراسات التراث الموريسكي المختلفة والموزعة على الحقول المعرفية الكثيرة التالية:
   - اللغة.
   - الآداب.
   - ج.التاريخ.
   - الاجتماع.
   - هـ. السياسية.
   - و.الحضارة.
   - ز.الكوديلوجيا(علم المخطوط).
   - أنساق التأليف.
   - ط. الببليوجرافيا.
٢. ثانيا: الوظيفة اللسانية، غالبها يتعلق بتأثيرات العربية في الإسبانية، والأعجمية، وبدراسة الخطوط العربية، وتطورها، واستجابتها لكتابة النصوص الأعجمية بها.
٣. ثالثا: الوظيفة التاريخية والسياسية، التي تشرح استجابات الموريسكيين للضغوط السياسية القاهرة التي وجهت إليهم، وتأثيرها في عد من مجالات العلم والدين في حياته.
٤. رابعا: الوظيفة الحضارية، التي تفسر ما نقله الموريسكيون من المسلمين المشاركة في المجالات كثيرة تتعلق بالتقاليد والصناعات.

ومراجعة ما كان في النقطة (١) هنا مما يتعلق بفحص انتماء المعرفي لهذا الكتاب مفيدة مهمة في تحليل تفصيل هذه الوظائف المختلفة المنشودة.

٤. ملاحظات نقدية:

ثمة عدد من الملاحظات النقدية المهمة التي تستهدف تعظيم الفائدة من استعمال هذا الكتاب المهم، نجملها فيما يلي:

١. **أولا**: غياب قوائم مصادر كل بحث مراجعه.
٢. **ثانيا**: غياب توثيق معلومات التعليقات المختلفة التي أثبتها المترجم مشكورا في هوامش الكتاب بهدف إضاءة كثير من معلومات المتن.
٣. **ثالثا**: غياب بعض الملاحق المهمة، من ثم ضرورة صناعة ملحق بمصطلحات التراث الموريسكي في آخر هذه الترجمة مثلا.
٤. **رابعا**: غياب كشافات مهمة من مثل: الأعلام، والأماكن، وغيرهما.
٥. **خامسا**: حاجة عدد من التعليقات التي تفضل بها المترجم إلى المراجعة ومن ذلك ما يلي:

هـ ١/ص ٧٤ يعلق المترجم على تعبير النقد الداخلي، بما هو موضوع من موضوعات التأليف في الأدب الموريسكي ، فيقول:" لعل صاحب المقال يقصد منه:" الجرح والتعديل" والصواب أن تعبير (النقد الداخلي) يتوجه إلى: نقد المتن تعيينا لا نقد السند!

الخاتمة :

استهدف هذا البحث صناعة مراجعة علمية نقدية لواحد من الكتب المهمة جدا في حقل الدراسات التراث الموريسكي، وقد تضمنت هذه المعالجة فحص ما يلي:

١. مادة الكتاب، وانتمائه المعرفي، وقيمته الحضارية.
٢. مصادر الكتاب ومنهج توثيق معلوماته، وحقائقه ومسائله، وتعليقات الترجمة إلى العربية".
٣. تعيين عدد من الوظائف المتوقعة، وتعيين بعض آفاق استمثار الكتاب في الثقافة العربية المعاصرة وفي المستقبل.
٤. جرد مجموعة من الملاحظات النقدية.

وقد كشفت هذه المراجعة عن مجموعة من النتائج ، كما يلي:

- **أولا**: تعد الأهمية الكبرى لهذا الكتاب في الآفاق التي يمكن أن يفتحها لخدمة التراث الموريسكي في الثقافة العربية المعاصرة المستقبلية.
- **ثانيا**: اتساع الحقول المعرفية الفرعية التي يخدمها ذلك الكتاب .
- **ثالثا**: كشف تحليل الكتاب عن عراقة العناية بالتراث الموريسكي في معاهد العلم ومختبراته في العالم الغربي.
- **رابعا**: كشف تحليل الكتاب عن التمدد المكاني لمعاهد العلم ومختبراته، والدوريات المعنية بدراسات التراث الموريسكي.
- **خامسا**: كشف الكتاب عن الامتداد الزماني لمصادر الكتاب ومراجعه بما يسمحبتقدير بحوث هذا الحقل.
- **سادسا**: من المتوقع أن تسهم ترجمة هذا الكتاب في تطوير كثير من بحوث دراسة المخطوطات، وتوطين جهازها الاصطلاحي في اللسان العربي.

هذا بالإضافة إلى نتائج أخرى جزئية وردت في سياق معالجة مطالبه الفرعية.

المراجع :

١. المراجعات العلمية ودورها في تحول المعلومات إلى معرفة، ضمن دراسات عربية في المكتبات والمعلومات، ع٢ سنة ١٩٩٨م مج٣(١/١١).
٢. التراث الموريسكي المخطوط:(بحوث مترجمة عن الإسبانية)، ترجمة وتعليق محمد محمد عبد السميع، تصدير : إسماعيل سراج الدين،وتقديم: مدحت عيسى، مركز المخطوطات، مكتبة الإسكندرية، ٢٠١٥م.